

التمهيد

أولاً: في اللغة :

تحمل مادة (شهد) في المعجمات العربية دلالات متعددة وكثيرة ، وقد وردت هذه المعاني على النحو الآتي:

١. الحضور: نقول شَهِدَهُ شُهُوداً ، أي حَضَرَهُ ، فهو شاهد ، وقومٌ شهودٌ أي حضور^(١) ،

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾^(٢) (أي مَنْ كَانَ حَاضِراً غَيْرَ

غَائِبٍ فِي سَفَرِهِ)^(٣) ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾^(٤) (أي مُحَضَّرٌ

يَحْضُرُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، ومثله: ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾^(٥) ، يعني

صلاة الفجر يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار ، وقال تعالى: ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾^(٦) ، أي حَضَرَ سَمْعَهُ وَقَلْبَهُ ، شاهدٌ لذلك غير غائب عنه^(٧) ، وفي

الحديث الشريف " سيد الأيام يوم الجمعة " ^(٨) ، فهو شاهد ، أي يشهدُ لمن حضر صلاته^(٩) .

(١) يُنظر: مفاتيح اللغة: ٢٢١/٣ لأحمد بن فارس ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤٩٤/٢ للجوهري ،
والحكيم والمحيط الأعظم في اللغة : ١٣٠/٤ لابن سيده ، ولسان العرب: ٢٣٤٨/٣ لابن منظور ، والقاموس المحي
والقاموس الوسيط: ٣١٦/١ ، للفيروزآبادي ، ومحيط المحيط: ١١٣١/١ ، وقطر المحيط: ١٠٨٤/١ بطرس البستاني ،
ومعجم متن اللغة: ٣٨٥/٣ أحمد رضا ، والصحاح في اللغة والعلوم تجديد صحاح الجوهري: ٦٩٠ ندم مرغلبي .

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٨٥ .

(٣) تمذيب اللغة: ٧٧/٦ ، لأبي منصور الأزهري .

(٤) سورة هود: من الآية ١٠٣ .

(٥) سورة الإسراء: من الآية ٧٨ .

(٦) سورة ق: من الآية ٣٧ .

(٧) اللسان : ٢٣٤٩/٣ .

(٨) المستدرک علی الصحیحین: ٤١٢/١ كتاب الجمعة . للحاكم النيسابوري .

(٩) يُنظر: اللسان: ٢٣٤٩/٣ ، والقاموس المحيط: ١٦/١ -

وكذلك الأمر بالنسبة للشعر العربي فقد استعمل الشعراء الفعل (شهد) بمعنى الحضور ، فانشد ثعلب (١):

كأني وإن كانت شهوداً عشيرتي إذا غبت عني يا عثيم غريباً
أي إن عشيرتي وإن كانوا حضوراً وغبت عني يا عثيم ، فإني غريب لا أنس
بوجودهم (٢). ومنه أيضاً شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، إذ يقول (٣):
فإن كنت لم تشهد بيدرٍ وقيعاً أذلت قريشاً والأنوف رواغم

٢. الخبر القاطع أو القسم على الشيء:

وهو ما يُدلي به الشاهد من شهادة أمام القاضي أو الحاكم ، فيقال: (قد شهد الشاهد عند الحاكم ، معناه: قد بين للحاكم وأعلمه الخبر) (٤)، ويقال أشهد بكذا أي أحلف ، وشهد له بكذا شهادة أي أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد ، وأشهدته على كذا فشهد عليه ، أي صار شاهداً عليه (٥)، وأشهدت الرجل على إقرار الغريم (٦). ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَسْهَدُوا شَهِدِينَ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (٧). أي: أشهدوا شاهدين (٨).

(١) المحكم: ١٣٠/٤ ، اللسان: ٢٣٤٩/٣ .

(٢) المصدران أنفسهما .

(٣) ديوانه: ١٥٤ البيت رقم (١٣) تحقيق د. يحيى الخوري ، ومثل هذا المعنى . يُنظر: أيضاً شعر خفاف بن ثدي السلمى:

١٢٨ جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي ، البيت رقم (١) ، وشعر النابغة الجعدي: ٢٠٦ البيت رقم (٢) تحقيق

عبد العزيز رباح ، وديوان عدي بن الرقاع العاملي: ٢٤٦ ، رقم (١) تحقيق د. نوري حمودي القيسي .

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٢٥/١ لابي بكر الأنباري ، ويُنظر: تذيب اللغاة: ١٧٣/٦ ، ومعمل

اللغة: ٥١٤/٢ ، ومقاييس اللغة: ٢٢١/٣ ، والمحكم: ١٣١/٤ ، واللسان: ٢٣٤٨/٣ ، والقاموس المحيط: ٣١٦/١ ،

ومحيط المحيط: ١١٣١/١ ، وقطر الغيظ: ١٠٨٤/١ .

(٥) يُنظر: الصحاح: ٤٩٤/٢ ، واللسان: ٢٣٤٨/٣ ، وتجديد الصحاح: ٦٩٠ .

(٦) العرم: الذي عليه المدّين . مختار الصحاح: ٤٧٣ . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .

(٧) سورة البقرة: من الآية ٢٨٢ .

(٨) يُنظر: المحكم: ١٣٠/٤ ، واللسان: ٢٣٤٨/٣ .

٣. الإعلام والتبیین:

قال أبو بكر الأنباري في معنى قول المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله: (معناه عند أهل العربية: أعلم أنه لا إله إلا الله وأبين أنه لا إله إلا الله ، الدليل على هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾^(١)، وذلك أنهم لما جحدوا نبوة النبي ﷺ كانوا قد بينوا على أنفسهم الضلالة والكفر ، ومن ذلك أيضا قوله "تبارك وتعالى": ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٢)، فمعناه بين الله أنه لا إله الا هو واعلم أنه لا إله إلا هو)^(٣). (لأنَّ الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه ، فالله تعالى قد دلَّ على توحيده بجميع ما خلق، فبينَ أنه لا يقدرُ أحدٌ أن يُنشئَ واحداً مِمَّا أنشأَ وشهدتِ الملائكةُ لِمَا عاينت من عظيم قدرته، وشهدَ أولو العِلْمِ بما ثبت عندهم، وتبينَ من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره)^(٤). أمَّا قول المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله: (فمعناه اعلم وأبين أن محمداً متابع للأخبار عن الله عز وجل)^(٥).

(١) سورة التوبة: الآية ١٧ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٨ .

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس : ١٢٥/١ ، وينظر : هذيب اللغة : ٧٢/٦ ، والمجمل : ٥١٤/٢ ، ومقاييس اللغة :

٢٢١/٣ ، والمحكم : ١٣٠/٤ .

(٤) هذيب اللغة : ٧٣/٦ ، ويُنظر: اللسان: ٢٣٤٨/٣ ، والقاموس المحيط: ٣١٧/١ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية

والدراية من علم التفسير: ٣٢٥/١ ، للإمام الشوكاني .

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٢٧/١ .

٤ . محضر الناس ومجمعهم:

نقول: مشهد الناس: أي محضرهم ، ومشاهد مكة: المواطن التي يجتمعون بها^(١) ، قال تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾^(٢) ، فالشاهد هو النبي ﷺ والمشهود هو يوم القيامة ، وقيل الشاهد هو يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ؛ لان الناس يشهدونه ويحضرونه ويجتمعون فيه^(٣) .

٥ . القضاء والحكم والكتابة:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى معنى قوله: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) أي: (قضى الله أنه لا اله الا هو)^(٥) ، وقيل كل ما كان ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ فهو بمعنى علم الله ، وكتب الله^(٦) ، وفي حديث الصلاة: " فإنها مشهودة مكتوبة " ^(٧) أي تشهدها الملائكة وتكتب أجرها للمصلي^(٨) .

٦ . اليمين والإبلاغ:

ففي قوله تعالى: ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾^(٩) فالشهادة هي معناها اليمين ، وقوله ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ﴾^(١٠) أي على أمتك بالإبلاغ والرسالة^(١١) .

(١) ينظر: العين: ٣٩٨/٣ ، ولهذيب اللغة: ٧٥/٦ ، ومعجم متن اللغة: ٣٨٥/٣ .

(٢) سورة البروج: الآية ٣ .

(٣) ينظر: لهذيب اللغة: ٧٥/٦ ، واللسان: ٢٣٤٩/٣ - ٢٣٥٠ ، والقاموس المحيط: ٣١٧/١ .

(٤) سورة آل عمران: من الآية ١٨ .

(٥) مجاز القرآن: ٨٩/١ ، تحقيق: محمد فواد سزكين .

(٦) ينظر: لهذيب اللغة: ٧٢/٦ - ٧٣ ، واللسان: ٢٣٤٨/٣ - ٢٣٥٠ .

(٧) سنن أبي داود: ٢٥/٢ .

(٨) ينظر لهذيب اللغة: ٧٣/٦ ، واللسان: ٢٣٤٨/٣ .

(٩) سورة النور: من الآية ٦ .

(١٠) سورة الأحزاب: من الآية ٤٥ .

(١١) ينظر: اللسان: ٢٣٤٩/٣ .

٧. النبوة:

قال تعالى: ﴿ وَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾^(١). أي اخترنا منها نبياً ، وكل نبي شيد أمة ، وقوله تعالى: ﴿ بُعِثْنَا عِوَجًا وَأَنَّمْ شُهَدَاءُ ﴾^(٢) أي انتم تشهدون وتعلمون أن نبوة محمد ﷺ حق لان الله " تبارك وتعالى " قد بينه في كتابكم^(٣).

٨. الأمين العليم:

الشهيد من أسماء الله تعالى وصفاته ، وهو الأمين في شهادته ، وقيل: الشهيد هو الذي لا يغيب عن علمه شيء^(٤).

٩. المعاينة:

نقول: شهَدَ الرجل الواقعة ، أي: عاينها^(٥).
ومما تقدم نستطيع القول إن دلالات (شهيد) المتعددة ومعانيها دارت حول معاني الحضور ، والخبر القاطع ، والإعلام والإبانة ، والقضاء والحكم والكتابة والإبلاغ ، والنبوة ، والأمانة والمعاينة ، وقيل غير ذلك ، (فهو فعيل بمعنى فاعل وبمعنى مفعول على اختلاف التأويل)^(٦).

(١) سورة القصص: من الآية ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٩٩ .

(٣) يُنظر: اللسان: ٢٣٤٩/٣ .

(٤) يُنظر: قدب اللغة: ٧٥/٦ ، واللسان: ٢٣٤٨/٣ ، ومحيط المحيط: ١١٣٢/١ ، وقطر المحيط: ١٠٨٤/١ ، ومعجم

من اللغة: ٣٨٦/٣ .

(٥) يُنظر: مختار الصحاح: ٣٤٩ ، واللسان: ٢٣٤٨/٣ .

(٦) اللسان: ٢٣٥٠/٣ .

الشهداء أربعة ، ومن ضمنهم " رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقي العدى فصدق الله حتى قُبلَ فذاك في الدرجة الرابعة " (١).

أما وجهه الثاني وهو أن قتل الكافر للمسلم ليس شهادة ينالها المسلم ، بل هو كفر لأنه صادرٌ من كافر ، ولا يجوز للمسلم أن يسأل الله تعالى مثل ذلك .

بدءاً نقول إنَّ المجاهد حينما ينزل ساحة المعركة لا ينزلها خائفاً أن يقتله الكافر ، بل ينزل ساحة المعركة مجاهداً شجاعاً يُقاتل الأعداء الكافرين الذين أمره الله تعالى بقتالهم ، فإن قُبلَ فقد نال الشهادة التي وعده الله تعالى بها ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (٢). فهذه الآية الكريمة نزلت في حق

شهداء أحد الذين قتلهم الكافرون المشركون (٣) ، فهم إذا ليسوا كافرين كما يقول الرازي ، بل شهداء أحياء عند الله تعالى ، أما سؤال المؤمن ربه الشهادة من الكافر وأنه غير جائز ، فنقول أنه قد ثبت عن عبد الله بن جحش إنه قد دعا الله تعالى يوم أحد : فقال: (اللهم ارزقني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حزمه ، أقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني ، ثم يأخذني فيجده أنفي وأذني ، فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله ، فيم جُوعَ أنفك وأذنك ؟ فأقول: فيك وفي رسولك فتقول صدقت) (٤). وفي نهاية المعركة وجِدَ ﷺ وقد أصابه كما دعا الله تعالى (٥) ، فهل نقول كما قال الرازي إن دعاءه هذا لا يجوز وعمله هذا كفر لأنه صدر عن كافر ؟ .

بل نقول بما قاله الرسول الكريم ﷺ عندما رأى جابر بن عبد الله بن جحش يبكي على ما أصاب أباه ، فقال له: " لا تبكيه أو ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٣/١ .

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩ .

(٣) يُنظر: أسباب النزول: ٨٥ - ٨٧ ، البياضى

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٨٧٩/٣ يوسف بن عبد الله بن عبد البر .

(٥) يُنظر: المصدر نفسه .

رفع " (١) فسؤال الله تعالى الشهادة جائز حتى وإن كانت من كافر ، ونتساءل هنا قليلا إن كان قتل الكافر للمسلم لا يجعله شهيدا ، فمن هو الذي يقتل المسلم حتى يكون شهيدا ؟
 أما الأصناف الأخرى التي ذكرها وهي المبطون والمطعون والغريق وغيرهم فنقول إنهم شهداء حقا ولكن ليسوا في المرتبة مع من يقتل في سبيل الله في ساحة المعركة ، لأن مرتبة شهيد المعركة أعلى من كل مرتبة ، وسيأتي إيضاحها في الموضوع المخصص له إن شاء الله تعالى (٢).

ولا نطيل الكلام كثيرا في المسألة التي ختمها الرازي نفسه مؤيدا ما ذهبنا إليه ومخالفا رأيه ، فقال مجيبا من يخاف القتل في سبيل الله تعالى : (يقال إن القتل في سبيل الله شيء مكروه ، وكيف يقال ذلك والمقتول في سبيل الله أحياء الله بعد القتل وخصه بدرجات القرية والكرامة وأعطاه أفضل أنواع الرزق وأوصله إلى أجل مراتب الفرح والسرور ، فأى عاقل يقول إن مثل هذا القتل يكون مكروها) (٣).

أما سبب تسمية الشهيد بهذه التسمية فللعلماء فيها أسباب متعددة وهي على النحو الآتي:

٢. قال النضر بن شميل: الشهيد هو الحي عند ربه وقال الأزهري: أراه تأول هذا القول الكريم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ... ﴾ كأن أرواحهم أحضرت دار السلام أحياء وأرواح غيرهم أخرجت إلى يوم البعث ، وهذا الرأي عنده حسن (٤).

(١) صحيح البخاري: ١٤٩٧/٤ .

(٢) ينظر: هنا البحث : ٢٦ .

(٣) تفسير الفخر الرازي: ٨٨/٩ .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٧٣/٦ ، واللسان: ٢٣٥٠/٣ .

٢. (سُمِّيَ الشَّهِيدَ شَهِيداً لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ شَهِدُوا لَهُ بِالْجَنَّةِ) (١).
٣. قِيلَ سُمُّوا شَهِدَاءَ لِأَنَّهُمْ مِمَّنْ يُسْتَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتَكُونُوا شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (٢) ومما جاء في تفسير هذه الآية أن أُمَّمَ الْأَنْبِيَاءِ تُكَذَّبُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ أُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ، فَيُجْحَدُونَ أَنْبِيََاءَهُمْ ، فَتَشْهَدُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِصَدَقِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ ، وَيَشْهَدُ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ بِصَدَقِهِمْ (٣) ، وَإِنْ كَانَ هَذَا عَاماً فِي جَمِيعِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَالشَّهِدَاءُ أَوْلَى بِهَذَا الْأِسْمِ ، إِذْ هُمْ تَبَعٌ لِلصَّادِقِينَ وَالنَّبِيِّينَ (٤) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهِدَاءِ﴾ (٥).
٤. وَقِيلَ سُمِّيَ الشَّهِيدُ شَهِيداً لِسُقُوطِهِ عَلَى الشَّاهِدَةِ وَهِيَ الْأَرْضُ (٦) ، أَوْ (لِقِيَامِهِ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ حَتَّى قُبِلَ ، أَوْ لِأَنَّهُ يَشْهَدُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الْكِرَامَةِ بِالْقَتْلِ) (٧).
٥. قَالَ الرَّازِيُّ الشَّهِيدُ هُوَ : (الَّذِي يَشْهَدُ بِصِحَّةِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى ، تَارَةً بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَأُخْرَى بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ ، فَالشَّهِدَاءُ هُمُ الْقَائِمُونَ بِالْقَسْطِ ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي
-
- (١) الرَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ: ٤١٥/١ ، وَيُنْظَرُ: تَمْذِيبُ اللَّغَةِ: ٧٣/٦ ، وَعَمَلُ اللَّغَةِ: ٥١٤/٢ ، وَاللِّسَانُ: ٢٣٥٠/٣ ، وَالْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ: ٣١٦/١ ، وَفَتْحُ الْبَارِيِّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: ٥٣/٦ لِابْنِ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيِّ .
- (٢) سُورَةُ الْفُرْقَانَةِ: مِنْ آيَةِ ١٤٣ .
- (٣) يُنْظَرُ: اللَّسَانُ: ٢٣٥٠/٣ ، وَالْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ: ٣١٦/١ .
- (٤) يُنْظَرُ: الرَّوْضُ الْأَنْفَ فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ النَّوْبِيَةِ: ٩٠/٦ الْفَاشِشُ لِإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْبَلِيِّ .
- (٥) سُورَةُ النَّسَاءِ: مِنْ آيَةِ ٦٩ .
- (٦) يُنْظَرُ: بِحَمَلِ اللَّغَةِ: ٥١٤/٢ ، وَمَعْمَرُ اللَّغَةِ: ٢٢١/٣ ، وَالْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ: ٣١٦/١ ، وَمَحِيْطُ الْمَحِيْطِ: ١١٣٢/١ ، وَقَطْرُ الْمَحِيْطِ: ١٠٨٤/١ .
- (٧) لِسَانُ الْعَرَبِ: ٢٣٥٠/٣ ، وَيُنْظَرُ: فَتْحُ الْبَارِيِّ: ٥٣/٦ .

قوله (^(١)) : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ ^(٢) .
 وقيل سُمي بذلك (لِأَنَّهُ يُشْهِدُ لَهُ بِالْأَمَانِ مِنَ النَّارِ ، أَوْ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ شَاهِدًا بِكَوْنِهِ
 شَهِيدًا) ^(٣) . فعندما وقف النبي ﷺ على شيداء أحد قال : " أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَوْلَاءِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ " ^(٤) . أي (أَشْهَدُ عَلَيْهِمُ بِالْوَفَاءِ ، قَالَ : عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ لِأَنَّ الْمَعْنَى : أَجَى يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ) ^(٥) .

وقيل أيضاً: لأنه يُشاهد من ملكوت الله تعالى ، ويُعاین من ملائكته ما لا يُشاهد
 غيره ، أَوْ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُشَاهِدُ قَبْضَ رُوحِهِ وَالْعُرُوجَ بَيَا ^(٦) ، ومما قيل في سبب هذه
 التسمية أيضاً ما أورده ابن حجر في شرحه صحيح البخاري من أوجه متعددة في سبب
 هذه التسمية ، قسم منها مضى ذكره اشترك به مع العلماء ، وقسم آخر انفرد به ، فقال
 سمي بذلك لان (الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع ، وقيل لأن الله يشهد له بحسن نيته
 وإخلاصه ، وقيل ... ، لأنه مشهود له بالإيمان من النار ، وقيل لان عليه علامة شهادة
 بأنه قد نجا) ^(٧) وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون معناه مشهوداً له بالجنة ، أَوْ
 يشهد عليه النبي ﷺ كما قال : " أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَوْلَاءِ ، أَي قِيمٌ عَلَيْهِمُ بِالشَّهَادَةِ لَهُمْ ، ... " ^(٨) .
 إن هذه الأوجه المتعددة في سبب هذه التسمية لا تتأقضى ما أثبتته البحث من كون
 الشيد - هو مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - فيذا حكم شرعي أثنته القرآن الكريم في
 قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَرِّقُونَ ﴾ ^(٩) .

(١) تفسير الفخر الرازي: ١٧٤/١٠ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٨ .

(٣) فتح الباري: ٥٣/٠ .

(٤) صحيح البخاري: ٤٥٠/١ .

(٥) الروض الأنف: ٨٩/٦ افامش .

(٦) يُنظر: الروض الأنف: ٨٦/٦ افامش ، وفتح الباري: ٥٣/٦ .

(٧) فتح الباري: ٥٣/٠ .

(٨) الروض الأنف: ٨٩/٦ افامش .

(٩) سورة آل عمران: الآية ١٦٩ .

وقال رسول الله ﷺ " رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ﷻ حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يُقتل ، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضلُه النبيون إلا بدرجة النبوة " (١).

وهذه الأوجه المتعددة التي ذكرناها إنما هي في سبب اختلاف التسمية وليست في الحكم .

ثالثاً: الشهادة والشهيد في القرآن الكريم:

أخبر القرآن الكريم عن معرفة الديانات السابقة لمفهوم الشهادة في سبيل الله تعالى ، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعَكُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢). فرب العزة والجلال يُخبرنا في هذه الآية الكريمة أن الجهاد في سبيله تعالى كان مفروضاً على أهل الكتاب المتقدمين كما هو مفروض علينا ، وأن مصير الذين يُقتلون في سبيله في جهادهم ضد الكافرين كان وسيبقى هو إلى الجنة (٣).

وقد يسأل سائل: إنَّ القرآن الكريم لم ينص على تسمية الذين قاتلوا الكافرين من مجاهدي الأمم السابقة بأنهم شهداء ، فنقول حقاً أنه لم ينص على هذه التسمية إلا أن مفهوم النص لا يخرج عن هذه التسمية خصوصاً إذا ربطنا بين هذه الآية الكريمة وقوله ﷻ مجيباً الرجل الذي سأله ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ

(١) مجمع الروائد ومسح الفوائد : ٢٩١/٥ علي بن أبي بكر الحنفي ، صحيح ابن حبان : ٥١٩/١٠ .

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي أو الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٨/٨ ، تفسير سورة التوبة ، والشهيد في الإسلام: ١٢٦

فقال: الرجل يُقاتل للذكر ، والرجل يُقاتل ليرى مكانه ، فأبي ذلك في سبيل الله ؟ قال: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " (١).

كما أن القتال الذي عناه المولى ﷺ في ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ هو قتال في سبيل إعلاء كلمته (٢)، ومن يُقتل في هذا السبيل فإنه - لا شك فيه - شهيداً في سبيله تعالى (٣). يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَكَأَيُّ مَنِيبٍ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَبِتِّ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ تَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤).

فقال الفخر الرازي مُعلقاً على هذه الآية: (أن تكون هذه الآية مختصة بالشهداء وقد أخبر تعالى أنه في حال إنزال هذه الآية كان قد أتاهم حسن ثواب الآخرة في جنان السماء) (٥).

فمن هذه الديانات التي عرفت القتال في سبيل الله تعالى ما أخبرنا به "تبارك وتعالى" في كتابه الكريم عن رغبة الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى في القتال في سبيل الله تعالى ، قال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لِهْمُ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا

(١) صحيح البخاري: ٥٨/١ ، صحيح مسلم: ١٥١٢/٣ .

(٢) لم يُذكر في القرآن الكريم لفظ القتال أو الجهاد إلا مقروناً بكلمة (في سبيل الله) وفي ذلك دلالة واضحة على أن الغاية غاية شريفة هي إعلاء كلمة الله . يُنظر: صفوة التفاسير: ١٢٧/١ ، عمدة على الصابوي .

(٣) يُنظر: الشهيد في الإسلام: ١٢٦ .

(٤) سورة آل عمران: الآيات ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ .

(٥) تفسير الفخر الرازي: ٢٩/٩ .

وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢﴾ وَلَمَّا بَرَّرُوا لِبِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ فهذا (١) يؤكد أن مفهوم الشهيد عندهم لا يختص في شيء عنه عندنا (٢).

وكذلك الأمر بالنسبة لأهل الكتاب النصارى فقد أثبت القرآن الكريم جهادهم أهل الشرك والإلحاد وما نالوه من عذاب شديد في سبيل نشر دعوتهم ، لكن هذا ما كان ليُنتهي من عزيمتهم على نشر دين الله تعالى وهداية الناس وإخراجهم من ظلم الشرك والإلحاد إلى نور العدل والإيمان ، مُضحين بأنفسهم في سبيل الدعوة قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿٢٠١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢٠٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٢٠٣﴾ قِتْلَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ ﴿٢٠٤﴾ النَّارِ

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٦ .

(٢) سورة البقرة: الآيات ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣) الشهيد في الإسلام: ١٢٧ .

ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿١﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٢﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٣﴾ وَمَا نَعْمُوا
بِهِمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٤﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾ (١) إن صبر هؤلاء وثباتهم على دينهم موضع عز وافتخار ، فالله تعالى
ذكر قصتهم لأجل الاعتبار والاعتاظ ، فهذا رسول الله ﷺ يقص على أصحابه الكرام
تفاصيل هذه القصة وما كان من صدق إيمان الراهب الذي شق بالمنشار نصفيين ، فلم
يرتد عن دينه ، وكذلك الأمر بالنسبة للغلام الذي ضحى بنفسه في سبيل إثبات توحيد الله
تعالى عندما قال للملك إذا أردت أن تقتلني فارمني بسهم وقل باسم الله رب هذا الغلام ،
ففعل وهو على مرمى عظيم من الناس ، فقتل الغلام شهيداً وآمن الناس بان لهم إليها أحر
غير الملك (٢).

أمأ هذه - أمة سيدنا محمد ﷺ - فكانت وما زالت خير أمة اختارها الله تعالى لحمل
رسالته وهداية العالم ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويجاهدون في سبيل الله
تعالى ، وما لهم لا يجاهدون والله تعالى قد أمرهم بذلك فقال تعالى: ﴿ اتَّقُوا
خِيفًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٣) فانطلقوا ملبيين نداء
الجهاد ، لأنه تجارة تنجيهم من عذاب أليم ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ
بِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤). تجارة ليس فيها دينار ولا درهم ، بل تجارة بيع نفوس

(١) سورة البروج: الآيات ١ - ٩ .

(٢) يُنظَر: تفصيلات هذه القصة في لسيرة النبوة: ٣٥/١ - ٣٦ - لاس هشام الأنصاري ، وصحيح مسلم: ٤/٢٢١٩ ،

وتفسير الطبري (جامع البيان) : ٨٥/٣٠ - ٨٦ محمد بن حريز الطبري .

(٣) سورة التوبة: الآية ٤١ .

(٤) سورة الصف: الآية ١٠ - ١١ .

طاهرة وشراء جنات واسعة ، قال تعالى: ﴿ فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا
 عَظِيمًا ﴾ (١). فالخطاب في هذه الآية الكريمة موجه إلى المؤمنين المجاهدين الذين يبيعون
 نفوسهم في سبيل الفوز بالآخرة إلى أن يُقاتلوا في سبيل الله تعالى الكافرين ، ووعدهم
 رب " العز والجلال " بأن المقتول منهم (شهيد) والمنتصر على الكافرين بالأجر العظيم
 يوم القيامة (٢)، فاستجابوا لنداء الله ﷻ وجادوا بنفوسهم الطاهرة وباعوها لله ﷻ الذي
 اشتراها منهم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ
 يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ
 أَوْفَى بَعْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣)
 فعرضهم الله تعالى (عن أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله بالجنة ، وهذا من فضله
 وكرمه وإحسانه ، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له ،
 ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم الله فأغلى ثمنهم) (٤)، فرب " العزة والجلال " قد
 وفي بوعده الذي كتبه على نفسه الكريمة وأنزله على رسله في كتبه التي سبقت القرآن
 الكريم في النزول ، ومن أوفى بعيده مع الله تعالى بموجب هذا العقد فليستبشّر بالفوز

(١) سورة النساء: الآية ٧٤ .

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي: ٢٧٧/٥ ، تفسير سورة النساء ، وتفسير ابن كثير: ٥٢٤/١ .

(٣) سورة التوبة: الآية ١١١ .

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٩١/٢ تفسير سورة التوبة ، يُنظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:

٤٠٧/٢ - ٤٠٨ للإمام شوكاني .

العظيم والنعيم المقيم في جنات الخلد (١) ، التي جعلهم فيها أحياء غير أموات قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٢) فهم أحياء يُرزقون في برزخهم كما جاء في صحيح مسلم (أن أرواح الشهداء في حواصل طير تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى فتاديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: ماذا تبغون؟ فقالوا: يا ربنا وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا ، فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا ، قالوا نريد أن تردنا إلى دار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نُقتل مرة أخرى - لما يرون من ثواب الشهيد - فيقول الرب ﷻ (اني كتبت انهم لا يرجعون ...) (٣) لهم أجرهم ونورهم يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٤). أي هم في جنات النعيم لهم عند الله تعالى اجر جليل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا يعملون في الدار الدنيا من الأعمال (٥) ، ومن إكرام الله تعالى لهم أنه جعلهم في المرتبة الثالثة بعد النبيين والصدّيقين ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿ (٦)

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير: ٣٩١/٢ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والمرابطة من علم التفسر: ٤٠٧/٢ - ٤٠٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٤ .

(٣) يُنظر: صحيح مسلم: ١٥٠٢/٣ ، تفسير ابن كثير: ١٩٧/١ .

(٤) سورة الحديد: الآية ١٩ .

(٥) يُنظر: تفسير ابن كثير: ٣١١/٤ ، تفسير سورة الحديد .

(٦) سورة النساء: الآية ٦٩ - ٧٠ .

فإنه تعالى جعل من الشهداء قوة تنجيه إليها أنظار المؤمنين الذين خاطبهم رب "العزة والجلال" إن هم أطاعوه وأطاعوا رسوله ، وتركوا ما نهى عنه الله ورسوله ، فإنه تعالى ﷻ سوف يسكنهم دار كرامته ويجعلهم مرافقين للأنبياء ، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين الصالحين ، فهؤلاء استحقوا ثناء الله تعالى عليهم ^(١) ، ووعدهم الله تعالى بالمغفرة والرحمة إن هم قُتِلوا أو ماتوا في سبيله ، قال تعالى: ﴿ وَلَنْ قُتِلُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَسُّمْ لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ^(٢) وَلَنْ مَسُّمْ أَوْ قُتِلُمْ إِلَى اللَّهِ يُحْشَرُونَ ﴿ ^(٣) . فإنه تعالى يرغبهم في الجهاد في سبيله تعالى ، لأنهم إن قُتِلوا أو ماتوا في هذا السبيل فهم شهداء سوف يغفر لهم يوم الحشر عنده "تبارك وتعالى" ، وفي الآية ترهيب ووعظ إنهم فرؤا من القتال ، لأنهم إن فعلوا ذلك فقد فروا من جنة إلى عذاب أليم سوف ينالوه يوم الحساب ، لان مردهم إلى الله تعالى ^(٤) . وحاشاهم ﷻ أن يفروا من لقاء العدو ، بل كانوا أحرص الناس على لقاء العدو فقاتلوا بشجاعة وثبات ونالوا الشيادة بفخر واعتزاز ، فهم سُعداء بما آتاهم الله من فضله العظيم في جنات النعيم ، قال تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) . فهم - الشهداء - فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ، ومستبشرون بإخوانهم الذين يُقتلون بعدهم في سبيل الله تعالى ، لأنهم سيقدمون عليهم ، وهم - الشهداء - لا يخافون ما أمامهم ، ولا

(١) يُعْر: تفسير القرطبي: ٢٧٢/٥ ، وتفسير ابن كثير: ٥٢٢/١ ، وتفسير المنار: ٢٤٦/٥ محمد رشيد رضا .

(٢) سورة آل عمران: ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) يُنْظَر: تفسير القرطبي: ٢٤٧/٤ ، يُنْظَر: تفسير ابن كثير: ٤١٦/١ .

(٤) سورة آل عمران: الأيتين ١٧٠ - ١٧١ .

يحزنون على ما تركوه وراءهم ، لأنهم وجدوا أن ما عند الله تعالى خير لهم وأبقى ، لأنه تعالى لا يُضيع أجر المؤمنين^(١) ، وحاشاه " تبارك وتعالى " أن يُضيع أجر أحد منهم ، بل أسكنهم جنات الخلد التي وعدهم بها ، فقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ ﴾^(٢). فالذين تركوا دار الشوك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأهل والأحباب ، لأن المشركين ضايقوهم بالآذى حتى ألجئوهم إلى الخروج ، وخروجهم هذا كان في طاعة الله ، وقاتلوا أعداء الله تعالى وقُتِلوا في سبيل الله تعالى ، ليكفرن تعالى عنهم سيئاتهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، فيها أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آمن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٣). ومن كرمه تعالى لهم أنه حفظ أعمالهم وهداهم إلى طريق الجنان ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَبِيحَهُمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهِمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾^(٤). أي لن يذهبها الله تعالى ، بل يكثرها ويُنمِّيها ويُضاعفها ، ويُرشدهم الله تعالى إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها ، ويصلح أمرهم وحالهم حتى إذا دخلوا الجنان قيل لهم تفرقوا إلى منازلكم ، فهم أعرف بها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم^(٥) ، ويدل على ذلك ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " يُخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ،

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٧/١ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٥ .

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي: ٣١٩/٤ ، يُنظر: تفسير ابن كثير: ٤١ - ٤٤٢ .

(٤) سورة محمد: الآيات ٤ - ٥ - ٦ .

(٥) بُعز: تفسير القرطبي: ٢٣٠/١٦ - ٢٣١ ، وُيُنظر: تفسير ابن كثير: ١٧٤/٤ .

حتى إذا هُذِّبوا ونُقُوا أَنْ لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأُحْدِثُ لَهُمْ مَنَازِلَهُ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ فِي الدُّنْيَا" (١)، (ومهما يكن عطاء الله لهؤلاء الشهداء بعد ذلك ، ومهما يكن إحتفاؤه بهم وتمجيده لذكورهم وإكرامه إياهم فهم له أهل) (٢). كما يود البحث أن يذكر هنا فائدة أخرى وهي أن مادة شهد قد وردت في القرآن الكريم مائة وستين نصاً قرأنا في الفعل والاسم ومشتقاتها .

رابعاً: الشهادة والشهيد في الحديث النبوي الشريف:

أدت السنة النبوية المطهرة على صاحبها "أفضل الصلاة والسلام" دورها في حث المجاهدين الصادقين على المُضْيِ قُدماً في طلب الشهادة والفوز بأجرها عند الله تعالى ، فقال "عليه الصلاة والسلام" مُرغباً أصحابه في الجهاد في سبيل الله ، لأنه طريق الشهادة، قال: " لعدوة في سبيل الله أو روحة خيرة من الدنيا وما فيها " (٣) ، وقال أيضاً ﷺ: "مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يُجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة" (٤) . إن هذا الأجر العظيم أعده الله تعالى لمن يخرج مجاهداً في سبيله تعالى ، فكيف بأجر من يُقتل في سبيله تعالى ؟

إن المجاهد الصادق حين يُقتل لا يحس ألم القتل ولا يعاني شدة الموت، وهذا من كرم الله تعالى للشهداء ، فقال "عليه الصلاة والسلام": "الشهيد لا يجد مس القتل إلا كما يجد أحدكم من القرصة بقرصها" (٥) فما أن تسقط أول قطرة من دمه الطاهر حتى ينال بها الشهيد ست خصال يُخبرنا بها رسول الله ﷺ فيقول: " يُغفر له في أول دفعة

(١) صحيح البخاري: ٢٣٩٤/٥ .

(٢) الشهيد في الإسلام: ١٤٠ .

(٣) صحيح البخاري: ١٠٢٨/٣ ، باب العدو والروحة في سبيل الله وقاب قوس أحدكم من الجنة.

(٤) صحيح البخاري: ١٠٢٧ ، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد نفسه وماله في سبيل الله .

(٥) صحيح ابن حبان: ٥١٢/١٠ .

ويرى مقعده من الجنة ويُجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويُشَفَعُ في سبعين من أقاربه " (١) ، وروي عنه أيضاً أنه قال: " أكرم الله تعالى الشهداء بخمس كرامات لم يُكرم بها أحداً من الأنبياء ولا أنا ، أحدها أن جميع الأنبياء قبضَ أرواحهم ملكُ الموت وهو الذي سيقبض رُوحِي . وأما الشهداء فانه هو الذي يقبض أرواحهم بقدرته كيف يشاء ولا يُسلطُ على أرواحهم ملكُ الموت ، والثاني أن جميع الأنبياء قد غُسلوا بعد الموت وأنا أُغسَلُ بعد الموت ، والشهداء لا يُغسلون ولا حاجة لهم إلى ماء الدنيا ، والثالث أن جميع الأنبياء قد كُفِنُوا وأنا أُكْفَنُ والشهداء لا يُكفَنون بل يُدفنون في ثيابهم ، والرابع أن الأنبياء لما ماتوا سُمُوا أمواتاً وإذا مات يُقال قد مات والشهداء لا يُسمون موتى ، والخامس أن الأنبياء تُعطى لهم الشفاعة يوم القيامة وشفاعتي أيضاً يوم القيامة وأما الشهداء فإنهم يشفعون في كل يوم فيمن يشفعون " (٢) . وجعل الله تعالى أرواح الشهداء في جوف طيرٍ ترد من أنهار الجنة وتُأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش (٣) ، ولم يتمن أحدٌ دخل الجنة الخروج منها إلا الشئد ، فإنه يتمنى الخروج منها إلى الدنيا لكي يُقاتل في سبيل الله فيقتل مرة أخرى لِمَا لاقاه من أجرٍ عظيمٍ أعدّه الله تعالى للشهداء ، فعن أنس (٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّيْءُ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ الكَرَامَةِ " (٥) .

(١) - سنن ابن ماجه: ٧٩٩/٢ ، باب فضل الشهادة في سبيل الله ، وسنن الترمذي: ١٨٧/٤ ، باب في ثواب الشهيد .

(٢) - تفسير القرطبي: ٢٧٦/٤ ولم نجد له تحريماً في كتب الحديث .

(٣) - يُنظر: صحيح مسلم: ١٥٠٢/٣ ، وسنن أبي داود: ١٥/٣ ، والمستدرک علی الصحیحین: ١٩٧/٢ .

(٤) - هو أنس بن مالك بن نضر بن ضحيم بن زيد بن حرام بن جد بن عامر بن غنم بن عدي بن الحار بن نعلبة بن عمرو بن الحارح بن حارثة الأصراري الحررجي ، حادده رسول الله ﷺ ، يُكنى أبا حمزة . يُنظر: الاستيعاب:

١٠٩/١ - ١١١ ، والإصابة في تمييز الصحابة: ٧١/١ - ٧٣ لسان حجر العسقلاني .

(٥) - صحيح مسلم: ١٤٩٨/٢ .

ومما يدلُّ على عظيم منزلة الشهادة أنَّ النبي ﷺ تمنى الشهادة في سبيل الله تعالى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: " والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أقتل ثم أحياء ثم أقتل ثم أحياء ثم أقتل " (١) ، إنَّ حبَّ النبي ﷺ للشهادة جاء لعلمه ﷺ بما أوحى إليه رب العزة والجلال من مكانة الشهداء والمنزلة التي ينالونها في الجنة ، فعن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ : " رأيتُ الليلة رجلين أتيا بي فصجدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قالوا أما هذه الدار فدار الشهداء " (٢) .

إنَّ هذه المنزلة العظيمة والمكانة المرموقة التي نالها الشهداء ما كانت لتختص بالحياة الآخرة فقط ، بل حتى في الدنيا ، فقد ميزهم الله تعالى بصفات وكرامات لا نجد لها نظيراً عند غيرهم ، فمن هذه الميزات أنهم يُدفنون على هيأتهم من غير غسل (٣) ، وإنما أمر رسول الله ﷺ بعدم غسلهم لأن هذه الدماء تكون شاهداً لهم يوم القيامة على استشهادهم في سبيله تعالى ، وتكون مسكاً يتعطر به للشهداء يوم القيامة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدَّم وللريح ريح المسك " (٤) والشهداء دون غيرهم يُدفنون في الأرض التي قُتلوا عليها ، فعن جابر بن عبد الله " رضي الله عنهما " قال: " لما كان يوم أحد جاءت عمتي بأبي لتدفنه في مقبرتنا ، فنادى منادي رسول الله ﷺ ردوا القتلى إلى مضاجعهم " (٥) وأجساد الشهداء تبقى كما هي على مر السنين دون أن يمساها أي شيء يُغيّر صورتها ، فهي محرمة على الأرض ، لأن الله تعالى أمر بحفظها

(١) صحيح البخاري: ٢٢/١ .

(٢) صحيح البخاري: ١٠٢٨/٣ .

(٣) يُنظر: سنن ابن ماجه: ١٤٨٥/١ .

(٤) صحيح البخاري: ١٠٣٢/٣ .

(٥) سنن الترمذي: ٢١٥/٤ .

كما هي حتى دماؤهم تبقى تتدفق إذا ما كشف عن جرح أحدهم ، وهذه كرامة من الله تعالى لهم ، فعن عبد الرحمن ^(١) بن عبد الله بن أبي صعصعة أن عمرو بن الجموح ^(٢) وعبد الله بن عمرو ^(٣) الأنصاريين ثم السلميين "رضي الله عنهما" (كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلي السيل ، وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد ، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما ، فوجدوا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأدس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين حفر عنهما ست وأربعون سنة) ^(٤) .

إن هذا لأجر العظيم وهذه المناقب الحميدة التي نالها الشهداء هي لمن يقتل في سبيل الله تعالى ، وحصر الشهادة في القتل يعني قلة شهداء هذه الأمة ، وهذا ما أدرك أهميته النبي ﷺ ، فوسع مفهوم الشهادة لتشمل أصنافاً متعددة ، فقال "عليه الصلاة والسلام": " ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا: يا رسول الله من قُتل في سبيل الله فهو شهيد ، فقلل ﷺ : إن شهداء أمتي - إذا - لقليل ، قالوا: فمن هم يا رسول الله ؟ قال: من قُتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد " ^(٥) . وأصنافاً أخرى سيأتي ذكرها إن شاء الله .

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة اماري الأنصاري . يُنظر: التاريخ الكبير للبخاري ، المجلد الخامس ، القسم لأول من الجزء الثالث ، ص ٢٢١ ، واحرج والتعديل لسري ، القسم الثاني من المجلد الثاني ، ص ٢٥١ .

(٢) هو عمرو بن جموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سمنة الأنصاري السلمي من بني حنشم بن الخزرج ، شهد العقبة ، ثم بدرًا وقتل يوم أحد شهيداً ودفن هو وعبد الله ابن عمرو بن حرام في قبر واحد ، يُنظر: الاستيعاب: ١١٦٨/٣ ، والإصابة: ٢٩٠/٤ - ٢٩١ .

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن عيم بن كعب بن سلمة الأنصاري ، يكنى أبا حنابل ، شهد العقبة ثم بدرًا ، وقتل يوم أحد شهيداً ، ودفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد . يُنظر: الاستيعاب: ٩٥٤/٣ ، والإصابة: ١١٠/٤ .

(٤) المنوط: ٤٧٠/٢ للإمام مالك .

(٥) صحيح مسلم: ١٥٢١/٣ .

١. من خرج مجاهداً فمات بأي سبب من الأسباب فهو شهيد ، قال "عليه الصلاة والسلام":
" من فصل في سبيل الله فمات ، أو قُتِلَ فهو شهيد ، أو وقصه فرسه أو بعيره ، أو لدغته هامة أو مات على فراشه ، أو بأي حتف شاء الله تعالى فانه شهيد وإن له الجنة " (١).
٢. من أصاب نفسه بسلاحه فأرداها من غير عمد ، ففي غزوة خيبر كان عامر بن الاكوع (٢) من المجاهدين الذين شاركوا في هذه المعركة ، فكان لديه سيف قصير فتناول به ساق اليهودي ليضربه ، فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبته فمات منه . فلما قتلوا من هذه الغزوة ، قال سلمة: رأني رسول الله ﷺ وهو أخذ بيدي قال: " ما لك ، قلت له: فذاك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله ، قال النبي ﷺ: كذب من قاله إن له لأجرين وجمع بين إصبعيه إنه لجاهد مجاهد قلَّ عربي مشى بها مثله " (٣).
٣. "من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد " (٤).
٤. من سأل الله تعالى الشهادة صادقاً بلغه إياها وإن لم يُصبها ، قال "عليه الصلاة والسلام": " من سأل الله الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء وإن مات على فراشه " (٥).
٥. عن جابر بن عتيك (٦) قال: قال رسول الله: " الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغرق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ،

(١) سنن أبي داود: ٩/٣ .

(٢) سبأ بن خنيس لاحقاً . ينظر هذا البحث / ١١٤ .

(٣) صحيح البخاري: ٢٢٧٧/٥ .

(٤) سنن الترمذي: ٣٠/٤ .

(٥) صحيح مسلم: ١٥١٧/٣ .

(٦) هو جابر بن عتيك بن قيس بن الحارث بن هشبة بن الحارث بن أمية بن زيد بن معاوية بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الأنصاري . ينظر: الإصابة: ٢٢٤/١ .

والحرق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة " (١)
 فأضاف رسول الله ﷺ المبطون الذي يموت من داء بطنه ، والحرق الذي يموت
 بالنار ، وصاحب ذات الشوصة ، وهو مرض معروف يُقال له الشوصة ، وأما المرأة
 التي تموت بجمع فقيل هي النفساء ، وقيل هي التي يموت ولدها في بطنها ثم تموت
 بسبب ذلك ، وقيل التي تموت عذراء (٢). وأحاديث أخرى كثيرة ذكرتها كتب الحديث
 النبوي في فضل الشهادة وأجر الشهيد وأقسامه الأخرى التي ذكرتها السنة النبوية
 الشريفة التي لا يتسع المجال لذكرها كاملة هنا ، غير أننا نكتفي بما ذكره البحث منها.
 وهذه الأقسام أو الأصناف المتعددة من الشهداء التي ذكرتها السنة النبوية ، لا
 تُساوي هؤلاء مع مَنْ يُقْتَلُ في سبيل الله تعالى ، لأن الشهادة تكون للأفضل فالأفضل من
 أمة سيدنا محمد ﷺ ، فأفضلهم من قُتِلَ في سبيل الله مجاهداً أعداء الله تعالى لتكون كلمته
 هي العليا ، مُيزت هذه الطبقة عن الأمة بالفضل الذي حازوه ، وبين الله تعالى أنهم أحياء
 عنده تعالى يُرزقون فرحين بما آتاهم من فضله ، ثم يتلوهم في الفضل من جعله النبي ﷺ
 في عداد الشهداء (٣).

فأيُّ واحد من هؤلاء الذين عَدَّهم النبي ﷺ شهداء لا يمكن أن يكون بمنزلة من
 خرج في سبيل الله يُناضل الكفر ويُقاتل الكافرين حتى الموت (٤).
 أننا أصناف الشهداء الذين سيخصهم البحث في دراسته إن شاء الله تعالى ، فسيم
 الذين خرجوا مجاهدين في سبيله تعالى ، ففازوا بالشهادة سواء قُتِلوا أم ماتوا .
 ويندرج تحت الصنف الأول شهداء المسلمين الذين قتلوا غدرا أو غيلة ، أما الذين
 ماتوا في سبيله تعالى فهم ذوو صلة وثيقة بمن قبلهم لأنهم ما خرجوا مجاهدين يقاتلون
 الأعداء إلا حبا في الشهادة ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ

(١) نوطاً: ٢٣٤/١ ، سنن أبي داود: ١٨٨/٣ .

(٢) بَطْر: فتح الباري: ٥٣٦ - ٥٤ .

(٣) بَطْر: قدس اللغة: ٧٤/٦ ، واللسان: ٢٣٥٠/٣ ، وتصريح ابن كثير: ٤٤٢/١ .

(٤) بَطْر: الشهيد في الإسلام: ٦٤ .

مَاتُوا لِيَرْزُقَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لِيَدْخِلْتَهُمْ مُدْخِلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾ . فقد ورد في سبب نزول هذه الآيتين أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وأبو سلمة قال بعض الناس: من قتل في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه ، فنزلت هذه الآية مُسَوِّبَةً بينهم ، وَأَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ جَمِيعَهُمْ رِزْقًا حَسَنًا لِأَنَّهُمَا خَرَجَا حُبًّا فِي الشَّهَادَةِ (٢) ، وأورد البحث فيما مضى أحاديث المصطفى ﷺ التي شملت وقرنت من مات في سبيل الله بمن قتل في سبيله تعالى ، كما أن طبيعة البحث تقتضي منا التنبية هنا إلى أنه يجب أن يكون الطرف الثاني الذي يقاتله المسلم هو من أعداء الله تعالى والمسلمين ، لذلك فإن جميع قتلى المسلمين في حروبهم الداخلية بعيدة عن منهج البحث .

(١) سورة الحج: ٥٨ - ٥٩ .

(٢) يُنظَر: تفسير القرطبي: ٨٨/١٢ ، وتفسير ابن كثير: ٢٣١/٣ .